ما هكذا يكون النقاش يا طلبة العلم؛ ((لا نريد سلوك العنزي، ولا لسان الأفطس))

ما هكذا يكون التحاور يا كتاب سحاب؟ (تعليق موجز على ما جرى بين الزملاء في ما يخص الشيخ علي الحلبي حفظه الله)

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقبل أن أشرع في طرح ما أنا بصدده أريد من الكتاب الفضلاء أن يسودهم الهدوء والأناة عند التعليق، أو أثناء قراءة الموضوع، وأن يضربوا المثل الأسمى في أدب الخلاف، ومن غلبته نفسه فلا يعلق خشية أن تكون العبارات لغير وجه الله، فإن الأعمال بالنيات، وربنا يقول((ألا لله الدين الخالص)، وقد كان السلف لا يعملون ولا يقولون حتى تتقدم النية وتصح، ولا أريد من كتاب سحاب الخير أن يذهب زمانهم في الجدل والصياح، وأن يكون قصدهم المغالبة، فيا معشر الكتاب إنه تعالى يعلم السر وأخفى، فاحذروا التناقض بين الجلوات والخلوات، واستقيموا على الجادة، ((أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله.

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها== مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

1 / المنهج السلفي يرفض تلميع أهل البدع والشقاوة، أو الإفراط في حسن الظن بهم وهم ينخرون أصوله، ويتنزه عن سلوك حبان بن علي العنـــزي الكوفي، فقد أخرج العقيلي في الضعفاء بسنده إلى هناد بن سري قال: كتبتُ عن عمرو بن ثابت كثيرا، فبلغني عنه أنه كان يوما عند حبان بن علي، قال هناد: وأخبرني من سمعه –يعني عمرو بن ثابت- وما أراه إلا نوفل يقول: كفر الناس بعد الرسول إلا أربعة، قال: قيل لحبان: قال هذا و لم تنكر عليه؟ فقال حبان: هو جليسنا؛ كأنه قال: فكرهت أن أقول شيئا، قال: وكان حين يتكلم بهذا الكلام يتناوم كأنه ينعس يعني حبان.

فبعض الدعاة إذا ذكر له بعض من أثار الفتنة بأصوله الملتوية، وجرّ جمعا لا بأس به من الشباب إلى الهاوية، بل وخنثهم والعياذ بالله فلا هم سلفيون، ولاهم سروريون ولاهم خوارج بأوصافهم بل

تجد فيهم كل بلية، كحال عدنان عرعور صاحب الأصول الدنية ومن كان على شاكلته وسكيكته، قلت: إذا ذكر له مثل هذا الصنف تمايل كحال حبان وتناوم، وصار يلوك في العبارات، ويتشدق ويتوسع في الكلام، مع ثرثرة وتكلف واضح، وفي النهاية بعد امتلاء واتساع لا تخرج بنتيجة، ولا بحكم جليّ عن مسعر الفتنة، وموقد نارها، وهذا التصرف يجعل الشباب في حيرة وخبط، بل قد يكون الجواب لبعضهم فتنة كما قال عبد الله بن مسعود: (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) رواه مسلم في مقدمته.

فواجب على المفتي ومن كان مرجعا للشباب إذا أجاب أن يبين الجواب بيانا يزيل الإشكال كما قال النووي، ولا يتركهم في ظلمة وحيرة، فليس في دين الله محاباة، ويتحتم في شأنه أن يسلك طريق أهل العلم في النقد والذبّ عن السنة، وليس له أن يحدث منهجا جديدا في الرد على المخالف، قال الإمام الآجري رحمه الله: (علامة من أراد الله به خيرا: سلوك هذه الطريق؛ كتاب الله وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء....)

وقال أبو إسماعيل الصابوني: (وأنا بفضل الله عزوجل ومنّه، متبع لآثارهم، مستضيء بأنوارهم، ناصح لإخواني وأصحابي أن لا يزلقوا عن منارهم، ولا يتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين، والمناكير من المسائل التي ظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه وبدّعوه، ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه.

قلت: فكيف لو رأى أبو إسماعيل ما أحدثه عدنان عرعور، وسلمان العودة، وسفر الحوالي، وعلي بلحاج ومن كان مثلهم من مناكير وأباطيل، بل هذا الجنس من البشر رمى بأتباعه في حوض من سبغلل، وربطهم بالضلال بن سبهلل.

فلا يليق بمن عرف منهج القوم أن يخفض لهم جناحه، ويعسل لهم لسانه، فإذا سلك المسكين هذا المنهج العقيم طمع فيه أهل الأهواء ورموا له بعض الفتات لاصطياده، فإذا تمكنوا منه أدخلوه عرين الموت، وصار أسيرا في قبضتهم قتيل سلاحهم، ورحم الله ابن قيم الجوزية حين قال في الصواعق

المرسلة(1254/4): ((...ولا يمكن الردّ على أهل الباطل إلا مع اتباع السنة من كل وجه، وإلا فإذا وافقها من وجه، وخالفها من وجه طمع فيه خصومه من الوجه الذي خالفها فيه، واحتجوا عليه بما وافقهم فيه من تلك المقدمات المخالفة للسنة، ومن تدبر عامة ما يحتج به أهل الباطل على من هو أقرب إلى الحق منهم وجد حجتهم إنما تقوى على من ترك شيئا من الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فيكون ما تركه من الحق أعظم حجة للمبطل عليهم.....[ثم قال]..وليس لمبطل بحمد الله حجة ولا سبيل بوجه من الوجوه على من وافق السنة و لم يخرج عنها، حتى إذا خرج عنها قدر أنملة تسلط عليه المبطل بحسب القدر الذي خرج به عن السنة، فالسنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وصراطه المستقيم الذي من سلكه كان من المهتدين، فمن وافق مبطلا على شيء من باطله جره بما وافقه منه إلى نفي باطله، وقد ضرب بعض أهل العلم لذلك مثلا مطابقا فقال: مثل الحق مثل الطريق المستقيم الواسع وعلى جانبيه قطاع ولصوص وعندهم خواطئ قد ألبسوهن الحلي والحلل، وزينوهن للناظرين، فيمر الرجل بالطريق فيتعرضن له، فإن التفت إليهن طمعن في حديثه، فألقين إليه الكلام فإن راجعهن وأجابهن دعينه إلى الذبح، فإذا دخل عرين الموت صار في قبضتهن أسيرا أو قتيلا، فكيف يحارب قوما من هو أسير في قبضتهم، قتيل سلاحهم؟ بل يصير هذا عونا من أعوانهم، قاطعا من قطاع الطريق، ولا يعرف حقيقة هذا المثل إلا من عرف الطريق المستقيم وقطاع الطريق ومكرهم وحيلهم وبالله التوفيق وهو المستعان)اهـــ.

فأقول للدعاة؛ احذروا سلمان وسفر ومحمد إبراهيم شقرة، ولا تلتفتوا إليهم، ولا تراجعوهم الكلام، فمن فعل طمعوا فيه، ثم يدعونه إلى الذبح، أو يصير في قبضتهم أسيرا، فوالله وبالله وكأني أرى بعض الدعاة وأثار سكاكين أهل الأهواء في نحورهم، وأرى الصنف الثاني يعوي في قفص أهل البدع واضعا كفا على ذقن، وقارعا سن نادم، فهل من صار أضحوكة عند أهل الأهواء ننتظر منه أن ينصر السنة، ويذب عن أهلها، كلا والله !

لقد حذر الشيخ ربيع بن هادي من محمد إبراهيم شقرة منذ أمد بعيد، وبين أنه قطبي متستر، وناصرت شيخي بالحق وحذرت من هذا الرجل في كتابي وقفات منهجية الذي صدر بين سنتي 1418 و1419 هجرية، وزدت تحذيرا منه في كتابي الجديد(سنى الأضواء في منع مسّ المصحف للجنب والحائض والنفساء)، فكان من الواجب على بعض طلبة العلم أن يأخذوا

بتحذيرات أهل السنة مأخذ الجد، ويوصلوها إلى علامة الشام، ومعلوم أن من جرحه العلامة الألباني فإن جرحه لا يندمل، ولكن لم نر شيئا، قدرُ الله وما شاء فعل.

وهناك أمر مهم جدا، قد لا يظهر لطالب العلم فساد منهج رجل ما ولكن إذا رأى بعض أهل السنة تركوه فأقل الأحوال أن يحدث في نفسه ريبة من المنتقَد، فقد أخرج ابن عدي الجرجاني في الكامل من طريق إبراهيم بن رستم قال: قال ابن المبارك في الحسن بن دينار ((اللهم إني لا أعلم إلا خيرا، ولكن أصحابي وقفوا فوقفت))

ومن طريق عبد العزيز بن أبي رِزمة قال ((جلس ابن المبارك بالبصرة مع يحي بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فذكروا قوما من أهل الحديث فقيل: يا أبا عبد الرحمن لِمَ تركت الحسن بن دينار؟ قال: تركه إخواننا هؤلاء))

وما أظن بعض الدعاة الذين يتورعون من التحذير من بعض المنحرفين كعدنان عرعور ومن كان على وتيرته يفوقون ابن المبارك في الزهد أو يقاربون؟!

فوالله لو وقف بعض الدعاة مع مشايخهم في نقد عدنان عرعور، وشدوا عليه الوثاق ، لضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولا يجد بعد ذلك مفرا إلا بالعودة إلى صرح أهل السنة إذا أراد الله به خيرا، أما وأنه يجد بعض الأضواء الخضراء التي تفسح له المجال ليتمادى في غيه، ومنازعة أهل السنة بالباطل، فمتى يعود هذا ومتى ينتهي عن تدليسه، ويرتاح أهل السنة من خلابيسه.

ويرى القارئ أنني مثلت بعدنان عرعور لأنني خبير به، وبأصوله، فحين أرى بعض السلفيين يدافعون عنه بدم بارد وعبارات عرجاء، وهم يعلمون أنه فاق الكرابيسي في التدليس، بل لو وزعت جوائز على المدلسين لحاز عدنان المنصب الأول بلا منازع، أشطط غضبا، ويسقط بعض المزكين له من عيني، بل أمقتهم لتصرفاتهم الهوجاء،وقد سمعت طالب علم يشار إليه بالبنان لما كنت في (أبوظي) وسأله أحد اللبيين؛ لماذا أثنيت على عدنان عرعور في المجلس الفلاني؟، فهل تدرون ماذا كان جوابه؛ أنتم رأيتم خطأ عدنان فقط، و لم تروا فساد هيئة كبار العلماء، فقمت بحرارة كما هي عادة الجزائريين ورددت عليه في المجلس فلما خرج قال: مرة أخرى لما يكون في المجلس أمثال هؤلاء —وهو يقصدني- لا تحضروني. والله المستعان .

ولا أريد الإسهاب في هذا الباب فعندي منه الكثير، والذي يهمنا هنا أن الغرق في يمّ حسن الظن في حق أقوام ظهر فساد سلوكهم أعطى مجالا إلى كثير من الشباب أن يتساءل؛ هل هذا الغلو في حسن

الظن من منهج السلف الصالح، ومتى يرد على عدنان، هل حين يحرف القرآن، أو ينكر رسالة الإسلام، والعجيب أن نجد بعض الطلاب يحبر الصفحات في مسألة فقهية كتحريك السبابة مثلا، وإذا وقف على خطأ منهجي كثناء عدنان عرعور على خوارج الجزائر، ودفاعه عنهم، وطعنه في العلماء، وتأصيله لقواعد باطلة يهرع على جناح السرعة لارتداء قميص حبان العتري والله المستعان.

ويعلم الله أنني أحب الشيخ علي الحلبي في الله، وهو يعرفني جيدا وفقه الله، ويذكر لما وقع نقاش في مدينة العين بدولة الإمارات بيني وبين العنبري المصري فقال الشيخ علي: أبو عبد الباري نحبه وإن شاء الله يحبنا، والذي يعجبني فيه أنه يقولها في الوجه، فلهذا نأمل من الشيخ علي الحلبي حفظه الله أن يدرس ما كتب أهل السنة في بعض الدعاة إذا أسعفه الوقت، ويقول كلمته كما كان يطلقها شيخه النحرير محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله مدوية في عنان السماء، ونحن مع الشيخ علي الحلبي حفظه الله في رده على اللغز المحير محمد إبراهيم شقرة، والمتطاول والمتشبع بما لم يعط، أبي رحيم، وعلى الشيخ علي الحلبي أن يعلم أننا نرفض ردود البزنطيين عليه كحال بعض الشبكات، التي لا تحمل لا علما ولا أدبا، ويعلم الله أننا نرد عن عرضه إذا انتهك بالباطل، ونحذر الشباب هنا في الجزائر من الكلام فيه شهوة وتقليدا للأفطس، فنأمل من الشيخ علي أن لا يخيب آمال السلفيين فيه، فإننا نراه طالبا قويا وكاتبا بليغا خدم المنهج السلفي كثيرا، وفق الله الشيخ علي إلى كل خير.

2 / المنهج السلفي مبرأ من منهج الأفطس.

قال الإمام أحمد في الأفطس عبد الله بن سلمة: (كان من أصحاب يحي وكان سيء الخلق، وتركنا حديثه وتركه الناس، ثم قال: خاصم الأفطس يحي بمكة فقال: دعوني فإني له قرن قول الأفطس) ينظر كتاب العلل للإمام أحمد.

قال أبو زرعة: عبد الله بن سلمة كان عندي صدوقا، لكنه كان يتكلم في عبد الواحد بن زياد، ويحي القطان، وذكر له يونس بن أبي إسحاق فقال: لا ينتهي يونس حتى يقول سمعت البراء.

قال أبو زرعة :فانظر كيف يرد أمره.

قال أبو زرعة: كلّ من لم يتكلم في هذا الشأن على ديانة فإنما يعطب نفسه، وكان الثوري ومالك يتكلمون في الناس على ديانة فينفذ قولهم، وكل من تكلم فيهم على غير ديانة يرجع الأمر عليه.

فالأفطس سليط اللسان، يذكرني بالغلاة، فما سلم منهم أحد لا فوق الأرض ولا تحت الأرض، ولا

إنس ولا جان، وهذا المنهج الغالي كذلكم مرفوض ومردود، فالسنة حسنة بين سيئتين، وواد بين جبلين، فلا نريد لا منهج العتري المتماوت، ولا منهج الأفطس الخانق.

وكتبه على عجالة أخوكم أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي